المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهُ تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

أثر تعظيم الله تعالى في إصلاح الأمة ووحدة صفها
(دراسة ميدانية في واقع المجتمع النيجيري)

اسم الباحث

أ/ حسين محمد آدم

حسين محمّد آدم

أثر تعظيم الله تعالى

في إصلاح الأمة، ووحدة صفها

دراسة ميدانية في واقع المجتمع النيجيري

المقدمة

الحمد لله القائل في محكم تنزيله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء]، والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدِّين،،

وبعد؛ فإنَّ واقع الأمة الإسلامية يمر بمرحلة حرجة أدت به إلىٰ التخبط جراء الابتعاد عن القرآن الكريم وقلة تعظيمه، ولا شك بأن تعظيم الله تبارك وتعالىٰ ومحبته خاصة فيما يتعلق بإصلاح واقع الأمة أمر منبثق عن القرآن الكريم، الذي هو دستورها وملاذها في شتىٰ مجالات الحياة وهو المخرج عند الفتن.

ويأتي كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أمّ القرىٰ بمكة المكرمة؛ ليأخذ علىٰ عاتقه مسؤولية القيام بتلك المهمة الدعوية الشاقة، واضعًا نصب عينيه قول الله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ليعيد للأمة الإسلامية مجدها التاريخي ومنزلتها العالمية المشرقة، وأحقيتها في القيادة، وذلك بإصلاح ثغراتها وتقريب رؤاها وتحصينها من الزيغ والفتن، واعتصامها بحبل الله المتين، منطلقا من القرآن الكريم الهادي -من اتبع رضوانه- سبل السلام، وإفراد التوقير والإجلال لله تعالىٰ، ليعقد مؤتمره الثاني[1] القرآني في «**تعظيم الله تعالىٰ في هدايات القرآن الكريم**» ليسدّ بذلك فجوة كبيرة غفلت عنها المراكز العلمية والمؤسسات الأكاديمية، ليرسم للأجيال القادمة طريقًا ناجعا، وميدانًا خصبًا للدراسة والتمحيص واستنباط الهدايات القرآنية الظاهرة منها والخفية، والعمل علىٰ تأصيل جوانبها وإبراز تطبيقاتها في واقع المجتمعات، ليسعد الإنسان بهدىٰ القرآن.

وهذه وقفات ميدانية ضمن المشاركات العلمية التي وُسِمت بـ (**أثر تعظيم الله تعالىٰ في إصلاح الأمّة ووحدة صفّها-دراسة ميدانية في واقع المجتمع النيجيري**)، والتي تضمنت مدخلًا، وأربعة محاور، وخاتمة، وتفصيلها كالتالي:

مدخل عام: نيجيريا موقعًا وواقعًا، ومفهوم تعظيم الله تبارك وتعالىٰ

---

(١) عُقد المؤتمر القرآني الأول بماليزيا تحت شعار: (إسعاد الإنسان بهدىٰ القرآن)، بالشراكة مع مركز بحوث القرآن الكريم بجامعة ماليزيا عام ٢٠١٨م.

المحور الأول: تعظيم الله تعالىٰ في المجتمع النيجيري تاريخًا وواقعًا

المحور الثاني: مظاهر تعظيم الله تعالىٰ في مجالات الحياة

المحور الثالث: أثر تعظيم الله تعالىٰ في إصلاح المجتمع النيجيري ووحدة صفه

المحور الرابع: الأسباب المانعة من تعظيم الله تعالىٰ أضرارها وسبل علاجها.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وقد ارتأىٰ للباحث أن يتبع المنهج الوصفي التحليلي القائم علىٰ وصف الحالة الدينية للمجتمع النيجيري، وتبيين مواقع تعظيم الله تعالىٰ في شعائره وعباداته ومعاملاته، ثم تحليلها تحليلا يتسق مع استنباط الهدايات القرآنية في تعظيم الله.

والله ولي التوفيق،،

حسين محمد آدم – نيجيريا

المدخل: نيجيريا موقعًا وواقعًا، ومفهوم تعظيم الله

أولًا: نيجيريا موقعًا وواقعًا

١- الموقع الجغرافي

تقع نيجيريا علىٰ السَّاحل الغربي الإفريقي، يحدّها من الشمال الخليج الغيني وجمهورية النيجير، وجمهورية الكاميرون شمالًا، ومن ناحية الشمال الشرقي بحيرة تشاد، وجمهورية بنين غربًا، واستقت بذلك عملاقة إفريقيا، ويبلغ عدد سكانها نحو ١٩٠,٩ مليون نسمة[١]، ونسبة المسلمين منهم ٧٥٪ بينما يمثل المسيحيون نسبة ٢٠٪، ويمثل الوثنيون واللادينيون البقية الباقية، وبمساحة ٩٢٣,٧٦٨كم، وتعد نيجيريا شديدة التنوع من حيث مظاهر السطح؛ إذ تحتوي علىٰ مناطق حارة ممطرة، وأخرىٰ صحراوية جافة، كما توجد الهضبات العالية والجبال الصخرية في بعض الولايات. وتقف فصولها السنوية علىٰ شتائي وصيفي، مع أن أراضيها واقعة في المنطقة الاستوائية، وبالجملة فإن مناخ نيجيريا متغير مداري في الجنوب، واستوائي وسط فصل في الشمال[٢].

٢- التنوع العرقي

يتكون سكان نيجيريا أكثر من ٢٥٠ مجموعة عرقية مختلفة، تتوزع في مناطق ريفية ومدنية، وأكبر مدينة سكانا هي لاَغُوس العاصمة القديمة، ويعمل معظم النيجيريين في الزراعة وصيد الأسماك والرعي، وتعد نيجيريا بين الدول الكبرىٰ المنتجة للكاكاو والفول السوداني، والفاصوليا، والجلود وغيرها من المحاصيل الزراعية، بالإضافة إلىٰ الىٰ الموارد المعدنية كحقول النفط وخام الحديد والغاز الطبيعي[٣].

٣- الاستعمار ونظام الحكم

في أوائل القرن التاسع عشر استطاعت بريطانيا بسط سيطرتها علىٰ نيجيريا، فأصبحت مستعمرة ومحمية بريطانية، حتىٰ عام ١٩٦٠م، حيث نالت استقلالها، فصار نظام الحكم فيها

---

(١) حسب التعداد السكاني لعام ٢٠١٧.

(٢) ينظر: الموسوعة العربية العالمية ص ٦١٠ وما بعدها.

(٣) ينظر: المرجع السابق.

عسكري من عام ١٩٦٦ إلىٰ عام ١٩٧٩م، ثم آلت مقاليد الحكم في البلاد إلىٰ حكومة مدنية، فصدر دستور في البلاد يمنح المواطنين الحق في انتخاب أعضاء الحكومة. وتنقسم نيجيريا إداريا إلىٰ ثلاث وثلاثين ولاية، وتنقسم هذه الولايات إلىٰ المئات من مناطق الحكم المحلي ضمن نظام حكومي فيدرالي.

٤- اللغات والتعليم

تمثل اللغة الإنجليزية اللغة الرسمية، وتدرس في المدارس بكافة أنحاء نيجيريا، وبالرغم من ذلك فغنها ليست أكثر اللغات استخداما، ولكل مجموعة من المجموعات الثقافية التي تعيش في نيجيريا لغتها الخاصة، وأكثر هذه اللغات استعمالا هي: الهوسا، والإيبو، واليوربا، بالإضافة إلىٰ الفولاني والكانوري وعرب الشوا، وهذه الأخيرة يعيش أفرادها في الشمال الشرقي، وما زالوا يحتفظون بلهجتهم العربية رغم قرون علىٰ استقرارهم في هذه المنطقة[١].

ويمكن ما يقرب من ثلث سكان نيجيريا القراءة والكتابة، إلا أن التعليم يواجه أزمة نقص المدارس والمدرسين، ويتفاقم ذلم في المرحلة الأساسية، كما أن القواني لا تلزم أولياء الأمور بإدخال أطفالهم المدارس، ويوجد بنيجيريا ما يقرب من ١٥ مليون تلميذ بالمدارس الابتدائية، ونحو ٣,٥ مليون طالب بالمدارس الثانوية، كما يوجد بها أكثر من ٣٠ جامعة[٢].

وأما واقع نيجيريا فإن التاريخ يشهد بأنها الأقدم انتماء، والأعرق انتسابًا إلىٰ دين الإسلام، حيث لم يعرف الشمال النيجيري قبل هذا الدين العظيم أي دين آخر[٣].

وقد دخل الإسلام في تلك البلاد منذ القرن الأول الهجري، وما جاء القرن الثالث حتىٰ أصبح الإسلام هو دين الدولة الرسمي في (كانم) و(برنو) وما جاورهما، بجهود الدعاة والمبشرين بالسنة المحمدية، وبصفة أخص: أتباع الإمام مالك بن أنس؛ وكان أمر المسلمين في ظل هؤلاء الورثة لم يُؤثَر عنهم أي خلاف يذكر، فالذي يصوم الدهر، أو يصوم يوما ويفطر يومًا، والذي يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، يقوم بعمله العظيم هذا دون أن يصطدم مع من

(١) ينظر: الموسوعة العربية العالمية (٦١٦).
(٢) ينظر: المرجع السابق.
(٣) ينظر: التكفير أخطر بدعة تهدد السلام والوحدة بين المسلمين في نيجيريا (٣).

لا يقدر علىٰ ذلك، والذي لا يفعل هذا يقدر كل التقدير من يقوم به، ويعترف له ويقر علىٰ نفسه بالتقصير، وهكذا في جميع فنون العبادة وفروعها[١].

ولم يزل أمر الناس علىٰ ذلك حتىٰ فاجئ الناس الاستعمار الصليبي بمحارته للإسلام بوسائل شتىٰ، ومحاربة العلماء بإظهار الجهلة عليهم وعدم تقديره؛ ومتىٰ تخلىٰ المسلمون عن تعظيم علماء الإسلام وإعطائهم حقهم المشروع وقعوا في الضياع، لأن ذلك يؤدي لا محالة إلىٰ تضييع الدين بسبب الجهل به وبأحكامه[٢].

ولقد توصل المستعمرون في جميع البلدان إلىٰ ذلك بالقضاء علىٰ المؤسسات الإسلامية التي نشأ منها حركات التجديد الإسلامي في أكثر من بلدان المسلمين؛ كحركة الشيخ عمر بن سعيد الفوتي في السودان الغربي (مالي، وماسنة، والسنغال، وغينيا) وكحركة المجاهد عمر المختار في ليبيا، وحركة عبد الكريم الخطابي في المغرب الأقصىٰ، وكحركة الجهاد والتجديد للشيخ عثمان فودي، والشيخ محمد الأمين الكانمي عندما بسط الغازي البريطاني نفوذه علىٰ نيجيريا، أو قبل ذلك بقليل عن طريق المبعوثين من الرواد المبشرين[٣].

ثمّ أخيرًا؛ اضطر للرحيل في النهاية، مخلفًا وراءه الكثير من الأمراض الاجتماعية والأخلاقية والدينية؛ ومنذ ذلك الوقت بدأ أمر المسلمين يضطرب شيئًا فشيئا، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ التمزّق والتفرق في الستينات[٤].

ثانيا: مفهوم تعظيم الله تعالى

إن تحديد مفهوم كلمة «**تعظيم الله**» بتركيبها الإضافي لا يتأتىٰ مالم يتم تفكيكيها وتجريدها من الزوائد وإرجاعها إلىٰ أصلها، والوقوف علىٰ دلالتها اللغوية والاصطلاحية، وفيما يلي جملة ما توصل إليه الباحث:

١- التعظيم في اللغة:

العينُ والظاءُ والميمُ، أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلّ علىٰ كبر وقوة، فالعظم: مصدر الشيء العظيم. فإذا عَظُم في عينيك قلتَ: أعظمته واستعظمته، أي: عدّه عظيمًا. وأعظم الأَمرَ وعظمه

(١) ينظر: المرجع السابق (٤).
(٢) ينظر: العلماء والتوجهات السياسية في نيجيريا (١٤).
(٣) ينظر: العلماء والتوجهات السياسية في نيجيريا (٤).
(٤) ينظر: التكفير أخطر بدعة تهدد السلام والوحدة بين المسلمين في نيجيريا (٣).

تعظيمًا، أي: فخَّمه. وعظمة الله -سبحانه- لا تُكَيَّف ولا تحدّ ولا تمثَّل بشيء، ويجب علىٰ العباد أن يعلموا أنَّه عظيمٌ كما وصف نفسه، وفوق ذلك بلا كيفية ولا تحديد[١].

٢- التعظيم في الاصطلاح:

ومن خلال المعنىٰ اللغوي يمكن القول بأن التعظيم بالمعنىٰ العام هو: التبجيل والتوقير[٢] لكلّ ذي قوة وشأن ونخوة وزهو وسلطان عظيم.

وبديهيٌ؛ فإنَّ عظمة الله تعالىٰ لا تنطبق عليها بعض هذه الصفات، والاسم في حقّه تعالىٰ هو الذي يعظِّمه خلقُه، ويهابونه ويتقونه، فله صفة العظمة في كلّ شيء، فهو عظيمٌ في ذاته، عظيمٌ في أفعاله، عظيمٌ في صفاته، وكلّ ما كان من دونه فصغيرٌ. فلو مُلِئ قلبُك بهذه؛ فإنَّها تحفظك أن تخاف ما سواه سبحانه. ولِمَ تخاف وليس في الكون عظيمٌ غيره!، فلا يعظم أحدٌ مثله فهو وحده ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه.

قال الأصفهانيُّ: «العظمة صفة من صفات الله لا يقوم لها خلق، والله تعالىٰ خلق بين الخلق عظمة يعظم بها بعضهم بعضا، فمن الناس من يعظم لمال، ومنهم من يعظم لفضل، ومنهم من يعظم لعلم، ومنهم من يعظم لسلطان، ومنهم من يعظم لجاه، وكل واحد من الخلق إنما يعظم بمعنىٰ دون معنىٰ؛ أما الله فيعظم في الأحوال كلها»[٣]، فإذا وُصف العبد بالعظمة فهو ذمّ؛ لأنَّ العظمة في الحقيقة لله -عزَّ وجلَّ-، وأمَّا عظمة العبد فهو كِبْره المذموم وتجبره.

والعظيم اسمٌ من أسماء الله تعالىٰ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أي: الذي جاوز قدره وجلَّ عن حدودِ العقول حتىٰ لا تتصور الإحاطةُ بكنهه وحقيقته، وهو تعالىٰ عظيم الشأن والسلطان، وليس المراد به وصفه بعظم الأجزاء لأن ذلك من صفات المخلوقين، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا[٤].

---

(١) ينظر: تاج العروس (٦٨٦٤)، وتهذيب اللغة (٤/ ١٧)، ولسان العرب (١١/ ٤٤)، (بجل/ وقر).

(٢) قلنا: التبجيل والتوقير؛ ليشمل العظمة الربانية وبقية المخلوقات؛ فهي مرادفات للتعظيم لغة، إلا أن بعضها يندر استعماله اصطلاحًا علىٰ الجناب الإلهي.

(٣) الحُجّة في بيان المحجة (١/ ١٤١)، وما بعدها.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٥٥: عظم)، ولسان العرب (١٢/ ٤٠٩: عظم)، وتفسير أسماء الله الحسنىٰ (٤٦).

أمّا «**تعظيم الله تعالىٰ**» بتركيبيه؛ فيمكننا الاكتفاء بكلام الهرويِّ في ذلك، حيث قال: «إنَّ تعظيم الله تعالىٰ هو أن لا يجعل العبد دون الله سببًا، ولا يرىٰ علىٰ الله حقًّا، أو ينازع لله اختيارًا»[1]، سبحانه صاحب الخلق والأمر.

(١) ينظر: منازل السائرين (٨١).

المحور الأول: تعظيم الله تعالى في المجتمع النيجيري تاريخًا وواقعًا

قال الله تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد].

فإذا كان النِّداء الرَّبانيِّ للقلوب بأن تلين لذكر الله والموعظة وسماع القرآن، فإنَّ هذا الذي نزل من الحقّ، يليّن الحجارة إذا نزل عليها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]، وكما قال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

وبتأمل هذه الآية الكريمة نستنبط هداية لطيفة مفادها؛ أنَّه تبارك وتعالىٰ وجَّه النِّداء للمؤمنين بالخشوع لذكر الله، فهذا لا يتحقق إلَّا إذا سبقه إضمار التَّعظيم والإجلال لله تبارك وتعالىٰ، صاحب الذِّكر والحقِّ، وإذا لانت القلوب من خشيته وتعظيمه فإنها تسعىٰ لإصلاح الفرد والمجتمع من خلال الحفاظ علىٰ وحدة صفِّ الأمَّة، وتحصينها من الزَّيغ في الفتن ما ظهر منها وما بطن. وذلك بترسيخ العقيدة السَّليمة، وتكوين الأسرة النَّبيلة التي بدورها تخلِّف ذرِّيةً صالحةً وقيادات تستشعر عظمة الله تعالىٰ في حركاتها وسكناتها.

فالخطاب لأهل الإيمان: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢]، فالمؤمن يفحص نفسه ليكتشف مواضع الضَّعف فيها، وأماكن التَّقصير، ومدىٰ مكانة عظمة الباري في حياته الدُّنيوية، وهل دمعت عيناه لله؟ وهل رقَّ قلبه لذكر الله؟ وهل رقَّ قلبه للأيتام وللأرامل وللمساكين؟ فطال عليهم الزَّمن في النَّعيم، فمُتِّعوا متاعًا طويلًا، ولم يصابوا بالمصائب، ولم يبتلوا بالبلايا، ولم يتضرَّعوا إلىٰ الله، ولم يشعروا بحال الضُّعفاء وبحال المساكين وبحال المرضىٰ؛ فإنَّ المصائب وأنواع الفقر وأنواع البلايا التي يصاب بها الإنسان تردّ الإنسان ردًّا جميلًا إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وتذكِّره بأحوال إخوانه الجائعين، وبأحوال إخوانه العارين، وبأحوال الأيتام، وبأحوال المساكين، وعظمته وتحكمّه في عباده بالمنع والعطاء، والصَّحة والعافية، والمبتلي والمُفرَّج[1].

فيؤخذ من هذا أن الذي يبتعد عن التذكير، ويبتعد عن مواعظ الذكر يقسو قلبه، ولذلك يتعين علىٰ كل مسلم أن يحافظ علىٰ المواعظ التي فيها تذكير بالله سبحانه، وفيها تذكير بلقاء الله، وفيها تذكيرٌ بالموت، ليستشعر العظمة الربانية.

---

(١) ينظر: سلسلة التفسير: مصطفىٰ بن العدوىٰ (٥/ ٥٢).

هذا، وإن المجتمع النيجيري -كغيره من المجتمعات الإسلامية- يستشعر تلك العظمة الربانية، ومنها ينطلق لإصلاح الذات والفرد والمجتمع، بل يتجاوز ذلك إلىٰ وحدة الصف والاعتصام بحبل الله المتين وتقوية أواصر الأخوة وتحصينه من الفتن التي عمت البلاد والعباد، وتتمثل تلك العظمة من خلال أمور يمكن حصرها في الآتي:

تعظيم القرآن الكريم

القرآن الكريم كلام الله تعالىٰ أنزله علىٰ عبده ورسوله محمد ﷺ ليكون هدىٰ ونورا للعالمين إلىٰ يوم القيامة، وقد أكرم الله صدر هذه الأمة بحفظه في الصدور والعمل به في جميع شئون الحياة والتحاكم إليه في القليل والكثير، ولا يزال فضل الله سبحانه ينزل علىٰ عباده فيعطون القرآن حقه من التعظيم والتكريم حسًا ومعنًىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمًا ١٧٥﴾ [النساء].

قال الحافظ ابن كثير في (تفسيره): «يقول تعالىٰ مخاطبا لجميع الناس، مخبرا بأنه قد جاء منه برهان عظيم، وهو الدليل القاطع للعذر والمحبة المزيلة للشبهة، وأنزل إليهم النور المبين، والضياء الواضح علىٰ الحق، فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا بالقرآن، وجمعوا بين مقام العبادة والتوكل علىٰ الله في جميع أمورهم فسيرحمهم تعالىٰ ويدخلهم الجنة، ويزيدهم ثوابا مضاعفا، ورفعا في درجاتهم من فضله عليهم، وإحسانه إليهم ويهديهم طريقا واضحا، قصدا قواما لا اعوجاج فيه ولا انحراف، وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة، فهم في الدنيا علىٰ منهاج الاستقامة وطريق السلامة في جميع الاعتقادات والعمليات، وفي الآخرة علىٰ صراط الله المستقيم المفضي إلىٰ روضات الجنات».

وقد عُرِفت إفريقيا بحَفَظتها وقرَّائها الأجلاء، وكانت لهم أيادي طويلة في تحفيظ طلبة العلم وقُرَّاء القرآن الكريم، وتجويده بالقراءات المشهورة، بدءًا من ليبيا التي عُرفت بالمليون حافظ والمغرب ومصر، ولم تكن نيجيريا أقلّ اهتمامًا بالقرآن[1]، وتخريج حُفَّاظه، ولها مؤسسات تعليمية تُعنىٰ بذلك:

---

(١) كما أنّ لها مشاركات في المسابقات القرآنية العالمية، والفوز بالتّراتيب الأولىٰ في داخل إفريقيا وآسيا والخليج العربي، وكان آخرها جائزة الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم وتجويده وتفسيره، حيث فاز بالتّرتيب الأوّل من الفرع الثاني (حفظ القرآن الكريم وتجويده) المشارك إدريس أبوبكر من نيجيريا.

١- المسجد:

فالمسجد أوّل مدرسة إسلامية يتمّ فيها تلَّقي التربية لدوره التعليمي الكبير، فالرسول ﷺ بعدما هاجر إلىٰ المدينة المنورة أوّل شيء قام به هو بناء المسجد النَّبويِّ، ليكون للعبادة ووسيلة للتعليم، ومجلسًا يجتمع فيه المسلمون لمناقشة قضاياهم المختلفة؛ وتُدَار فيه النَّدوات، وتلقىٰ علىٰ منبره التَّعاليم والكلمات، وهو مؤسسة اجتماعية يتعلَّم فيها النِّظام والمساواة ويمارسون التَّوحيد والإخاء والانضباط.

ثمّ سار المسلمون علىٰ هذه السُّنَّة المحكمة باتِّخاذ المسجد مكانًا للتَّعليم في مختلف البلدان الإسلامية، وكان العلماء الأجِلَّاء حيثما وُجِدوا يسعون لبناء المساجد باعتباره الرَّكيزة الأولىٰ للدَّعوة، وانتقل هؤلاء العلماء في نيجيريا لتنفيذ هذه المهمة الكبيرة علىٰ غرار منهج الصَّحابة، حيثُ عكف كلّ واحد منه لإنشاء مسجد ويلتف حوله الطلاب، ويقوم بتعليمهم القرآن الكريم وأحكامه ورواياته، إضافةً إلىٰ المعارف الإسلامية المتنوعة، ومبادئ اللغة العربية، بل أحيانًا تجد أكثر من معلم في مسجد واحد يلقون دروسًا مختلفة.

٢- الخلوة:

وهو المكان الذي يتمّ فيه تعليم الصِّبية القرآن الكريم، وفي نيجيريا تختلف مسمياته باختلاف القبائل، كقبيلة هوسا التي يسمونها «سَنغَايَا»، وكذلك قبيلة الكانوري، إلا أنهم يحذفون «الياء» من سنغايا، فينطقونها «سنغا»، أم كلمة المسيج أو السنغايا فهي عند قبيلة «الشّوا»، وطبيعيا يشرف علىٰ «المسيج» شخص حافظ لكتاب الله تعالىٰ يسمىٰ «الغوني» (وهي درجة ينالها الحافظ للقرآن الكريم) فيعلم الصِّبية القرآن الكريم، ويحفظهم إياه.

وقد اهتم مسلمو نيجيريا بتعليم أبنائهم القرآن الكريم، فعزَّزوا بذلك مكانتهم الاجتماعية والدّينية، حيثُ كان التَّعليم في مراحله الأساسية في الكتاتيب ملزم، وانتشر فيها أكثر من غيرها من المدن الأخرىٰ، بل إنَّ الصَّبي الذي لم يختم القرآن الكريم لا يُزَوَّج، ولا يعتبر رجلًا، بل لا يجد عملا مناسبًا[1].

وقد انتشرت هذه الخلاوي بشكل كبير، حتىٰ جعل التفكير في حصرها وإحصائها يظل صعب التحقيق في وقتنا الحاضر، ذلك أن ما من بيت من بيوت المدن الكبرىٰ والقرىٰ إلا وفيه مسيج يقيم فيه «قُونِي» أو «فَكِي يؤ» الصلوات ويعلم الصِّبية القرآن[2].

(١) ينظر: مذكرة في تاريخ تشاد، حسن عبد المؤمن عبد الكريم (٣٧).
(٢) ينظر: التعليم العربي الإسلامي في تشاد تاريخه وآفاقه، مصطفىٰ أحمد علي (١١٠).

إلىٰ جانب الدور البارز والتعظيم الملموس للقرآن الكريم وحفظته، فإننا نلمس جانبا آخر في تكريم حفظة القرآن الكريم، فصارت الاحتفالات بحفظة كتاب الله من التقاليد السائدة، وهذا نابع من تعظيمه لهذا الكتاب، فصارت ضرورة لا مفر منها لكل مرة يحفظ القرآن فيها ابنها، حيث يقيم فيها آباء الأطفال الولائم القرآنية التي عادة ما يطلق عليها «الختامة القرآنية» وتبدأ بالختمة الأولىٰ والثانية، إلىٰ أن يصل الحافظ فيها إلىٰ درجة «الغوني»، وهي الدّرجة التي يصبوا إليها كل دارس بالخلاوي؛ لأنّها الغاية، ولا يطلق هذا اللقب إلا لمن أجاد وأتقن الحفظ والتلاوة، وعرف الإملاء والرسم، والشكل والوقف والابتداء، والمقطوع والموصول والمحمول والحساب القرآن، وقيود الرباع وما إلىٰ ذلك من المهمات في معرفة القرآن.

وخلاصة القول؛ فإنَّ الشَّعب النَّيجيري يكنّ احترامًا فريدًا من نوعه للقرآن وحفَّاظه، ويوليهم الأهمية المرموقة، حيثُ هيَّأ لهم المكان المناسب، واختار لهم المسجد مكان العبادة والصَّلوات الجامعة، وكرَّمهم أحسن تكريم، لينال بذلك رضىٰ المولىٰ تبارك وتعالىٰ واستحضار مكانته وعظمته، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[الحج: ٣٢].

تعظيم الله من خلال اللغة العربية

للغة العربية أهمية قصوىٰ وقدم راسخة، لدىٰ المسلمين في نيجيريا ذلك لوشيجتها المتينة بدينهم الحنيف واعتقادهم الراسخ في أنها لغة القرآن الكريم، وأن احترامهما وتعلُّمها وتعليمها يعتبر تعظيما لله سبحانه وتعالىٰ وتقربًا، فصارت جزأ لا يتجزأ من حياتهم الدينية والثقافية والسياسية عبر العصور، نتيجة للإقبال الشديد الذي حظيت به من علمائهم السلف، والأدوار الفعالة التي قاموا بها نحوها، رغم الإشكاليات التي تحول دونهم من حين لآخر.

وتلو هذا ظهر العامل الديني الذي جعل كل مسلم ومسلمة إلىٰ تعلم اللغة العربية لأداء الضّرورية الدينية وذلك بين القرنين الحادي والرابع عشرة من الميلاد حين انفجار الإسلام بأرض نيجيريا، وفي إثر هذا أخذ مسلمو نيجيريا وخاصة علماؤهم يؤسسون الحلقات الدراسية لأخذ مبادئ الدراسات العربية والإسلامية ليتمكّنوا من مناسكهم وعبادتهم علىٰ الوجه المرضي عنه، وفي الطليعة القرآن الكريم، ثمّ أصول الدّين وفقه الإمام مالك وقواعد اللغة العربية لفهم تلك الكتب بالتّدريج. ولعله في أوائل فترة دخول الإسلام دخلت أسماء الأيام العربية وانتشر استعمالها حتىٰ نسي الناس أسماءها المحلية[1].

---

(١) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، شيخو أحمد سعيد (٦٥).

وهناك مصطلحات دينة أخرىٰ دخلت بدخول الإسلام، أمثال: الحاجّ والنَّبيّ والحرام والعادة والوضوء والزّكاة والنِّية، وغيرها. والتي لها صِلة مباشرة باستحضار عظمة الله تعالىٰ؛ إذ الحاجّ إلىٰ بيت الله الحرام يستشعر عظمة ربانية يُقبل عليها ليجدد العهد الإلهي بالإنابة إلىٰ الخالق، والعودة إلىٰ الوطن خاليًا من الذُّنوب كيوم ولدته أمُّه. وكذلك بقية المصطلحات ذات الصِلة باللغة العربية والدّين الإسلامي الحنيف، وقد أصبحت هذه الألفاظ جزأ لا يتجزأ من لسان أهل البلاد إلىٰ الوقت الرّاهن.

استمر الحال علىٰ هذا ردحًا من الزّمان إلىٰ أن استغلظت الثقافة العربية، واستوت علىٰ سوقها ببركة إنشاء المعاهد العليا في أهم المراكز التجارية القديمة أمثال كنو وكتشنا وغيرهما، وذلك فيما بين القرن الرابع عشرة الميلادي وبضعة قرون تالية لها، وقد نزل بهذه المراكز الزُّوار وفودا وأفرادا من العلماء الأجانب منهم الونغراوي ون، ونشروا فيها العلم وبزيارة بعض العلماء هذه البلاد نشرًا للعلم، وطلبًا للعيش والحياة[1].

ولمّا كان القرن التاسع عشر الميلادي راجت الثقافة العربية، وساد علىٰ يد الشيخ عثمان بن فودي وشقيقه عبد الله، والشَّيخ أمين الكانمي وتلاميذهم والأبناء لإقبالهم الشديد علىٰ الدِّراسة العربية، وتفرّغهم لها، حتىٰ أسّسوا سياسة إسلامية، واتّخذوا اللغة العربية لغة وحيدة لثقافتها وإدارتها وشرائعها، وقد ألّفوا بها خلال ذلك عدّة كتب كما دوّنوا بها شؤونهم الرسمية والإخوانية والثقافية، وبقيت تلك الكتب والدّواوين مراجع خاصة ومهمّة للأدب العربي الإسلامي النيجيري إلىٰ اليوم؛ كما أنّها آثار تدلّ علىٰ أسبقية الثقافة العربية الإسلامية في حقل التشريع والتثقيف والتعليم، بل السِّياسة في نيجيريا، وليس سواها.

تعظيم الله في العبادات والشعائر الدينية

إنَّ الله تعالىٰ لم يخلق الخلق، ولم يرسل الرُّسل، ولم يُنزلِ الكتب، إلَّا من أجل تحقيق غايةٍ من أسمىٰ الغايات، ألا وهي عبادته -سبحانه- وتحكيم شرعه، ولا يمكن أن تصل العبادة إلىٰ أعلىٰ كمالها، إلَّا بتعظيم المعبود، وامتثال أوامره، وهي فعل المكلَّف علىٰ خلاف هوىٰ نفسه تعظيمًا لربِّه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

والنَّبيُّ ﷺ أرشد إلىٰ تعظيم الله في أمّهات العبادة، فالصَّلاة وهي أعظم الشَّعائر التَّعبدية بعد الشَّهادتين كلّها قائمة علىٰ التّعظيم لله -عزَّ وجلَّ-، وكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يستفتح الصلاة

(١) ينظر: الإسلام في نيجيريا، والشَّيخ عثمان بن فوديو الفلاني، آدم عبد الله الإلوري (٤٤).

بعبارات التعظيم والتمجيد والإجلال لله -عزَّ وجلَّ-.[١] ففي (السُّنن) عن عائشة وأبي سعيد: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إذا استفتح الصَّلاة قال: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَىٰ جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيرُكَ**». فهو ﷺ أعظم النَّاس تعظيمًا لربِّه تعالىٰ، وأحسنهم ثناءً عليه، وافتقارًا إليه، ورغبةً في فضله، ورهبةً من عذابه[٢].

إنَّ تعظيم الله -تعالىٰ- وتعظيم ما يستلزم ذلك من شعائر الله تعالىٰ وحدوده من أجلِّ العبادات القلبية، وأهمّ أعمال القلوب، التي يتعيَّن تحقيقُها والقيام بها، وتربية النَّاس عليها، وبالذَّات في هذا الزَّمان الذي ظهر فيه ما يخالف تعظيم الله تعالىٰ: من الاستخفاف والاستهزاء بشعائر الله تعالىٰ، والتَّسفيه والازدراء لدين الله تعالىٰ، وأهله.

ولقد جاءت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة في بيان فضل تعظيم الله؛ فمنها قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم الآية الرَّابعة جعلها الله بينه وبين عبده؛ لأنّها تضمنت تذلُّل العبد لربّه وطلب الاستعانة منه؛ وذلك يتضمن تعظيم الله تعالىٰ».

تعظيم الله في الصلاة

يتجلّىٰ تعظيم الله -تعالىٰ- بشكل واضح للغاية في أمّهات العبادات، بما فيها الصلاة التي تُعدّ أعظم شعيرة يتعبّد بها المسلم لله -تعالىٰ- بعد الشهادتين، ومن الأدلة علىٰ ذلك ما رُوي عن الرسول -ﷺ- حين كان يستفتح الصلاة بقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَىٰ جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيرُكَ**»[٣]، فمن الحريّ بنا أن نقتدي بالرّسول محمّد ﷺ الذي هو أحسن الخَلق تعظيمًا لله، وأعظمهم ثناءً عليه، رغبةً فيما عند الله، وخوفًا من عقابه.

ومن مظاهر تعظيم الله -تعالىٰ- في الصلاة كذلك: تعظيمه سبحانه في الركوع، وممّا يحث علىٰ ذلك قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَمَّا الرُّكُوعُ؛ فَعَظِّمُوا فيهِ الرَّبَّ**»[٤]، وهذا لا يعني أنّ السجود لا يكون فيه تعظيم لله تعالىٰ، ولكن في الركوع أكثر، وكذلك جعل -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- الرفع بعد الرّكوع كلّه تعظيم لله.

---

(١) ينظر: تعظيم الله جلّ جلاله، أحمد بن عثمان المزيد (١٨).
(٢) ينظر: المرجع السّابق (١٩).
(٣) صحيح مسلمٌ (٣٩٩).
(٤) المرجع نفسه (١١٠٢).

تعظيم الله بالتفكر في الكون إن من مظاهر تعظيم الله -تعالىٰ- التفكر في خلقه وفي الكون كله، فالتفكر في إعجاز الله تعالىٰ في الكون يملأ القلب إيمانًا وإجلالًا، ويدفع اللسان للدعاء، ومن الأدلة القرآنية علىٰ ذلك ما جاء في قوله -سبحانه-: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران].

وتجدر الإشارة إلىٰ أنّ التفكر في الكون يكون بالتأمل بخلق الشمس والقمر ودورانهما، وتعاقب الليل والنهار، والتفكر في خلق النبات والحجر والشجر، وغير ذلك، ويجدر بيان أنّ تعظيم الله -تعالىٰ- يُؤتي ثمارًا عظيمة، منها إقامة الخوف من الله في القلوب، ونزع رهبة الآخرين من الصدور.

تعظيم شعائر الله الزمانية

ومن مظاهر تعظيم الله تعالىٰ تعظيم شعائره الزمانية: ومنها يوم عرفة، ويوم، ويمي التاسع والعاشر من شهر الله الحرام بالصيام والعبادة وبسط اليد للمحتاجين، بعيدا عن لطم الخدود وشق الصدور، وكذلك يوم الجمعة، وخاصة الساعة التي يستجيب الله -تعالىٰ- فيها سؤال السائلين ودعاء الداعين، فقد جاء في قول الرسول محمد ﷺ: «**وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُو يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاه**»(١).

تعظيم شعائر الله المكانية:

كبيوت الله تعالىٰ كلها؛ وخاصَّة البيت الحرام والمسجد النَّبويِّ والمسجد الأقصىٰ، وممّا يدلّ علىٰ ذلك قوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فَضْلُ الصَّلاةِ فِي المَسْجِدِ الحَرَام عَلَىٰ غَيْرِهِ مِائَةُ أَلْفِ صَلَاةٍ، وَفِي مَسْجِدِي أَلْفُ صَلَاةٍ، وَفِي مَسْجِدِ بَيْتِ المَقْدِسِ خَمْسُ مِائةِ صَلَاةٍ**»(٢).

ومن وسائل تعظيم بيوت الله: الإقبال عليه بقلوب مُحبّة، والخشوع لله -تعالىٰ- فيها، وقراءة القرآن الكريم فيها، والإكثار من ذكر الله تعالىٰ.

---

(١) سنن النسائي الكبرىٰ (١/ ٥٤٠: ١٧٥٤).

(٢) شعب الإيمان (١٤٧٠).

تعظيم الله تعالى بالعمل الصالح

إنّ كلّ عمل صالح من طاعةٍ وعبادة، وكلّ عمل صالح مع خَلق الله وعباده هو من شعائر الله، وعليه فإنّ أداء العبادات علىٰ الوجه الذي ارتضاه الله تعالىٰ، والعمل الصالح مع الخلق كلها من مظاهر تعظيم شعائر الله -تعالىٰ- التي تُوجب محبّته ورضاه.

وعلىٰ المسلم أن يبحث عن أمور تعينه علىٰ تعظيمه تعالىٰ ومنها: الدعاء، فهو من أفضل الوسائل التى تُعين علىٰ تعظيم الله تعالىٰ، وأنجح الأدوية لأمراض القلوب، وذلك في حال استحضار القلب والنية الخالصة لله تعالىٰ، فالله تعالىٰ لا يردّ من أخلص في دعائه، ومن الأدلة القرآنية علىٰ ذلك قوله -تعالىٰ- في محكم كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة].

وعلىٰ الرَّغم من أنّ الإحصائيات تشير إلىٰ أن نسبة المسلمين في نيجيريا في حدود ٧٥٪ فإن الدافع الأساسى من منطلق العبادات والشعائر الدينية للمسلم النيجيري نابع من تقدير الباري تعالىٰ وعظمته جل جلاله، ويظهر ذلك جليا في موسم الحج وتوافد الحجيج والتسابق إلىٰ حجز الكراسى؛ كيف لا، وأن الراعى والفقير والعالم يبذل كل ما في وسعه من أجل تحقيق هدف زيارة بيت الله الحرام، ويدخل ضمن المستطيعين لأداء فريضة الحج. هذا، ولم يكن اندفاع الشعب النيجيري واستقبالهم لشهر الصوم والبركة بأقل من سابقه في العُدة اللازمة وتهيأت النفس للعبادات والنوافل والذكر وقراءة القرآن الكريم، والتسابق بالخيرات والصدقات وإطعام الفقراء والمساكين، بل إن بعض الأغنياء الذين منّ الله عليهم بإخراج الزكاة يعتبرون شهر رمضان الكريم أفضل أشهر الله تعالىٰ لإخراج تلك الأموال، يضاف إلىٰ ذلك إحياء الليالي المباركة فيه، بدء من ذكرىٰ غزوة بدر الكبرىٰ، وفتح مكة، وتحري ليلة القدر في العشرة من آخره.

والمعظم لله -عزَّ وجلَّ- في عباداته وشعائره الدينية، معظم لجناب النبي ﷺ مدافع عنه محب له، يشرف بالتأسي به والانضواء تحت لوائه ولذلك فإنه يقتدي به في كل الأمور، ويدعو إلىٰ سنته، ويبين فضائله ومحاسنه وكمال أخلاقه وآدابه - ﷺ -، وهو لا يقدم علىٰ الكتاب والسنة شيئا من الآراء والأهواء والأقوال والعادات، كما أنه ملتزم بمنهج الوسطية في عباداته وتعاملاته كلها سالم من التطرف والغلو والإرهاب والبدع والضلالات[1].

(١) ينظر: تعظيم الله جلّ جلاله، أحمد بن عثمان المزيد (١٢).

المحور الثاني: مظاهر تعظيم الله تعالى في مجالات الحياة

إن ترسيخ قيمة تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- يعالج كثيرا من مشاكل المجتمع الأمنية والاقتصادية والإدارية بأيسر السبل وأقل التكاليف والأعباء علىٰ الدولة، وتعالج كثيرا من المشكلات الأخلاقية والاجتماعية؛ كعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، وظلم المرأة، والعنف الأسري، وانتهاك الأعراض، وغير ذلك من الاعتداء علىٰ الأنفس والأموال الخاصة والعامة، وغير ذلك من المشكلات، حيث لا توجد مشكلة إلا ومن أعظم أسبابها ضعف تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- في النفوس، وقد رأينا أن هذه القيمة لما ترسخت في نفوس الجيل الأول في عصر النبوة وعصر الخلافة الراشدة ومن بعدهم، أنتجت أمة ضربت أروع الأمثلة في الطهارة والاستقامة والأمانة وأداء الواجبات والابتعاد عن المحرمات والوصول إلىٰ أعظم مظاهر المدنية والحضارة.

وقد عدّ الله -سبحانه وتعالىٰ- تعظيمه بشتىٰ المظاهر من أفضل الأعمال القلبيّة التى يتقرب بها المسلم إليه -سبحانه- وأجلّها، ولا سيّما في هذا الزمان الذي شاع فيه الاستهزاء بالدين والاستخفاف بشعائر الله والتسفيه لأهل الله وخاصّته، والقصد من تعظيم الله تعالىٰ الإيمان المُطلق بأنّه سبحانه أعظم من كل شيء، وأجلّ من كلّ أمر، وأكبر ما في الوجود، وهذا التعظيم لا يتحقّق إلا بإثبات صفاته -عزَّ وجلَّ- كلها، وتنزيهه عن كل عيب ونقص، وتتعدد الأمور التى تُوجب تعظيم الله تعالىٰ، ولعلّ نعم الله -تعالىٰ- علينا وفضله الدائم والتذكر لآلائه من أهمّ هذه المُوجبات، أمّا بالنسبة لمظاهر تعظيم الله تعالىٰ في مجالات الحياة، فيمكن بيان بعض منها فيما يأتي:

أثر تعظيم الله في الجانب العقديّ

قال تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح]، والمعنىٰ: أيُّ سبب حصل لكم واستقر لكم حال كونكم غير معتقدين لله عظمةً موجبة لتعظيمه بالإيمان والطاعة له؟ أي: لا سبب لكم في هذا مع تحقق مضمون الجملة الحالية[1].

قال البقاعيُّ: «أي ثوابٍ يوقركم فيه ولو قل، فإن قليله أكثر من كثير غيره، ولا تخافون له إهانة بالعقاب بأن تعلموا أنه لا بد من أن يحاسبكم بعد البعث فيثيب الطائع ويعاقب العاصي، كما هي عادة كل أحد مع من تحت يده، فتوقروا رسله بتصديقهم فتؤمنوا وتعملوا، فإن من أراد من أحد أنه يوقره وقره وعظمه ليجازيه علىٰ ذلك، فإن الجزاء من جنس العمل، وذلك إنما يكون بمعرفة الله

---

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان (٢٥٤).

بما له من الجلال والجمال، والخلق إنما تفاضلوا بالمعرفة بالله، لا بالأعمال، إنما سبق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس بشيء وقر في صدره، فإن بالمعرفة تزكو الأعمال وتصلح الأقوال، وإنما يصح تعظيمه سبحانه بأن لا ترىٰ لك عليه حقا، ولا تنازع له اختيارًا، وتعظم أمره ونهيه، بعدم المعارضة بترخيص جاف أو تشديد غال أو حمل علىٰ توهم الانقياد، وتعظم حكمه بأن لا تبغي له عوجًا ولا تدافعه بعلم، ولا ينبغي له غرض وعلة، ولأجل أن المطلوب تحصيل الأعمال التي هي أسباب ظاهرية، عبر بالرجاء ليسرهم بأن أعمالهم مؤثرة، وعبر بالطمع في غير هذه الآية تنبيهًا علىٰ أنه لا سبب في الحقيقة إلا رحمة الله لحال دعاء إلىٰ ذلك»[(١)].

وعند تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج]، يقول الألوسيُّ: «أي: ما عظَّموه -سبحانه- حقّ تعظيمه، فإنَّ تعظيمه تعالىٰ حقَّ تعظيمه أن يوصف بما وصف به نفسه، ويعبد كما أمر أن يعبد، وهؤلاء لم يفعلوا ذلك، فإنّهم عبدوا من دونه من لا يصلح للعبادة أصلًا، وفي ذلك وصفه سبحانه بما نزَّه عنه سبحانه من ثبوت شريك له -عزَّ وجلَّ-»[(٢)].

فالذي لم يقدر الله حق قدره في عقيدته وسلوكه ويعظّمه فسوىٰ الفقير العاجز من جميع الوجوه، بالغني القوي من جميع الوجوه، سوىٰ من لا يملك لنفسه، ولا لغيره نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، بمن هو النافع الضار، المعطي المانع، مالك الملك، والمتصرف فيه بجميع أنواع التصريف؛ فهو تعالىٰ كامل القوة، كامل العزة، من كمال قوته وعزته، أن نواصي الخلق بيديه، وأنه لا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن، إلا بإرادته ومشيئته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ومن كمال قوته، أنه يمسك السماوات والأرض أن تزولا ومن كمال قوته، أنه يبعث الخلق كلهم، أولهم وآخرهم، بصيحة واحدة، ومن كمال قوته، أنه أهلك الجبابرة والأمم العاتية، بشيء يسير، وسوط من عذابه[(٣)].

أثر تعظيم الله في الجانب الأسريّ

الأسرة وهي الوعاء الاجتماعي الذي يتلقىٰ الطفل معلوماته، ويتفاعل مع أفرادها، ويشعر بالانتماء إليه، وبذلك يكسب الطفل أول عضوية له في جماعة، ويتعلم منها كيف يتعامل مع الآخرين في سعيه لإشباع حاجاته وتحقيق مصالحه من خلال تفاعله مع أعضائها.

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩/ ١٨٩).

(٢) ينظر: روح المعاني (١٣/ ١٤١).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٥٤٦).

ويولد الطفل خلوا من أي شيء يحدد شكل تعامله مع المواقف والأشياء والأشخاص والأهداف التي تنتظم عليها حياته بعد ذلك، والأسرة هي التي تتولىٰ رسم توجهاته في الحياة من خلال القيم التي تحتويها ثقافة المجتمع ويستجيب الطفل لها نظرا لما للأسرة من قدرة وإمكانات علىٰ إشباع حاجاته، ومعاونته علىٰ مواجهة المواقف التي تواجهه في حياته المبكرة[١].

وأهم مشكلة تواجه الفرد في حياته، تلك التي تتمثل في الكيفية التي يتعامل بها مع محيطه؟، والجواب هنا يتمثل في الخبرات التي يستمدها الطفل من بيئته، وما تتضمنه من مسلمات تتعلق بدلالات الأشياء والأشخاص والأحداث، أي من خلال القيم التي يتشربها ويستدخلها في ذاته من خلال أسرته، وتظل معه طوال حياته في بنائه الشخصي والذات[٢].

وهنا تبرز أهمية التنشئة الاجتماعية عن طريق الأسرة، التي يكتسب الطفل عن طريقها الحكم علىٰ الأشياء والمواقف والخبرات، وتتأثر تلك العملية بسبب الجو الأسري وما يسوده من تعاون واستقرار، أو تشاحن واضطراب، وكلما كانت العلاقة القائمة بين الوالدين تستند إلىٰ المحبة والتفاهم والتعاون، تأتي التنشئة الاجتماعية صحيحة وسليمة، فيتشرب الطفل القيم بطريقة صحيحة سليمة وينشأ في مقدرا لما من حوله من شعائر ورموز دينية ومقدسات الآلهية.

وكلما كانت الأسرة متمسكة بدينها، ومبادئه وقيمه وتسعىٰ جاهدة لغرس عظمة الله تعالىٰ في أجيالها وشبابها، انعكس ذلك علىٰ تربية الأطفال، حيث تعمل علىٰ تنشئة أبنائها علىٰ القيم الصحيحة، فيحكمون الدين ومبادئه وأحكامه في كل تصرفات حياتهم، والعكس صحيح[٣].

وقد أراد اللّه للأسرة أن تقوم علىٰ الأسس الصحيحة السليمة، فأرسىٰ الدعائم السليمة الصحيحة، والأسس القويمة لتكوينها تكوينا سليما كحاضن جيد للطفل، بحيث ينشأ نشأة سوية، متمسكا بالقيم الإسلامية، ولهذا وردت النصوص الوافرة موجهة إليه، عاكسة روح الإسلام وأهدافه في بناء الأسرة.

---

(١) ينظر: في أصول التربية، محمد الهادي عفيفي (٢١٨).

(٢) ينظر: الثقافة والشخصية، سامية الساعاتي (٢٢٣).

(٣) ينظر: في نظام الأسرة في الإسلام، أحمد محمد العسال (٣٤).

إن الأسرة المسلمة تقوم علىٰ مبادىء معينة، هامة وجليلة الشأن من أجل توفير جو صحي سليم لتربية الأولاد تربية سليمة علىٰ القيم الإسلامية، فهي تقوم علىٰ المودة والرحمة، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم]، كما تقوم علىٰ مبدأ العدل والمساواة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[البقرة: ٢٢٨]، علىٰ اعتبار أنَّ لكلٍّ من الرَّجل والمرأة وظيفة في الأسرة، كما أنَّ الأسرة تقوم علىٰ مبدأ المعاشرة بالمعروف: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[النساء: ١٩].

وفي مثل هذا الجو الأليف الودود تقوم عملية التّربية للأبناء وسط جوٍّ من ضمان حقوقهم، ووسط الشعور بالمسئولية التامة عن هذه التربية التي أكدها الشارع الحكيم، فالأسرة قائمة علىٰ قيم ومن أجل قيم[1]، يقول الرسول ﷺ: «**أَلَا كُلُّكُم رَاعٍ، وَكُلُّكُم مُسْؤُولٌ عَن رَعِيَتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَىٰ أَهْلِ بَيتِهِ وَهُو مَسْؤُولٌ عَن رَعِيَتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَىٰ بَيتِ زَوجِهَا وَوَلَدِهِ وَهِي مَسْؤُولَةٌ عَنْهُم، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَىٰ مَالِ سَيِّدِهِ وَهُو مَسْؤُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُم رَاعٍ، وَكُلُّكُم مَسْؤُولٌ عَن رَعِيَتِهِ**»[2].

إن من أوجب الواجبات، وأعظم المسؤوليات، وأكبر الأمانات؛ أمانة تربية المسلم لأهل بيته مبتدئا بنفسه، ومثنيا بمن يعول.. أدناه فأدناه، وهذا من معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم]؛ فهو مسؤول عنهم، ومحاسبٌ عليهم، ومعاقب علىٰ تفريطه في تربيتهم؛ فالتّربية ليست أمرًا عارضًا، أو قضية هامشية، أو فكرة عابرة، أو خاطرة سائرة؛ بل هي ضرورة ملحة، ومسألة لازمة، وقضية تضرب بجذورها في الماضي الفائت، لتعبر الحاضر السَّائر، وتمتد إلىٰ المستقبل الآتي.

وصلاح الأهل نعمة عظيمة، ومنة -من الله- كريمة، لا يشعر بها، ويعرف فضلها، ويقدر قدرها إلَّا من حُرم منها، وتَلَوَّع قلبُه بضدِّها، واكتوىٰ فؤاده بنقيضها.

وكما أن لكل حرث زارع، ولكل مال جامع؛ فكذا الهداية لها أسباب وطرائق، وموانع وعوائق. والواجب المتحتم علىٰ كل مسلم أن يبحث عن طرق الهداية ويغتنمها، ويتنكب

---

(١) ينظر: نضرة النعيم (٦٩).

(٢) صحيح البخاري (٦٧١٩).

سبل الضلال والغواية ويجتنبها. وليعلم علم اليقين أن التربية تحتاج إلىٰ جهد جهيد لا يعرف الكسل، وبذل لا يتوافق مع البخل، ومواصلة لا ترضىٰ بالانقطاع، وهمة لا تقنع بالدون، وعزيمة لا تتناسب مع الخمول. وحسبك من محامدها أن العبد يؤجر عليها ويثاب علىٰ ما بذل فيها حتىٰ بعد موته وانتهاء عمره وانقطاع أثره وانبتات أمره.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له».[1] وبها ترفع في قدره، ويضاعف له في أجره، ويعقب بخير في أثره.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الجَنَّةِ، فيقول: أَنَّىٰ لي هذا؟ فيُقال: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ**»[2]. ومنها: أنّها تجمعه بأحبته وقرابته في درجات الجنَّة، فضلًا من الله ومِنَّة! قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾ [الطور].

أثر تعظيم الله في الجانب التربويّ

إن هذه الشريعة العظيمة نظمت العلاقات بين الأسرة في نفسها، أسرة الإنسان وقراباته بما شرع الله من: صلة الرحم، والمواريث، والتعاون فيما بين الأسرة حتىٰ تكون مرتبطة متعاونة علىٰ ما يرضي ربنا -عزَّ وجلَّ-، متحابة فيما بينها، هذا من رحمته وإحسانه أن جعل بين ذوي القرابات صلة خاصة تصل بعضهم ببعض، وتجمع بعضهم إلىٰ بعض، وتربط بعضهم ببعض، فشرع صلة الرحم، وحث علىٰ ذلك وتوعد علىٰ ترك ذلك، فقال النبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الحديث الصَّحيح: (لا يدخل الجنة قاطع)[3] يعني: قاطع رحم، وقال -جلَّ وعلا- في كتابه العظيم: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣﴾ [محمد].

وهكذا شرع العلاقات الطيبة بين المسلمين في جميع المعاملات، فجعلهم إخوة يتحابون في الله، ويتعاونون علىٰ الخير في جميع المجالات.

---

(١) سنن الترمذي (١٣٧٦).
(٢) سنن ابن ماجه (٣٦٦٠).
(٣) صحيح مسلم (٦٦٨٤).

وهذه أعظم صلة وأعظم رابطة بين المسلمين، الرابطة الإسلامية والأخوة الإيمانية، وهي أعظم رابطة، وهي فوق رابطة القرابة والصداقات وكل رابطة بين الناس، فالرابطة الإسلامية والأخوة بين المسلمين فوقها، فالله – سبحانه وتعالىٰ – جعل المسلمين فيما بينهم إخوة وأوجب عليهم أن يحب بعضهم لبعض الخير، ويكره له الشر، وأن يكونوا فيما بينهم متحابين متناصحين متعاونين حتىٰ يكونوا كتلة واحدة، وجماعة واحدة، وصفا واحدا، وأمة واحدة، فيأمرهم بالاجتماع والاعتصام بحبل الله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران: ١٠٣].

فبين سبحانه وتعالىٰ أن الواجب علىٰ الجميع أن يتعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ، وأن يكونوا أولياء لا غل بينهم، ولا حقد ولا حسد، ولا تباغض ولا تقاطع، لكن أولياء يتناصحون ويتعاونون علىٰ الخير. وهذا هو التضامن الإسلامي الذي يدعو إليه كل مسلم، وكل مخلص لدينه، وكل مؤمن، وكل محب للإسلام.

فالتضامن الإسلامي: هو التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، والتواصي بالحق، والتناصح في الله، والتكافل والتكاتف علىٰ كل ما فيه صلاح المسلمين ونجاحهم وحفظ حقوقهم وإقامة كيانهم وصيانتهم من شر أعدائهم، هذا هو التضامن، وهذا هو التعاون: أن يكون المسلمون حكومات وشعوبا متعاونين علىٰ البر والتقوىٰ متناصحين في الله، متحابين فيه، متكاتفين علىٰ كل ما يقيم دينهم، ويحفظ كيانهم، ويوحد صفوفهم، ويجمع كلمتهم، وينصفهم من عدوهم، ويورثهم العزة والكرامة.

فبهذا الاجتماع وهذا التعاون يحميهم الله من شر أعدائهم ومكائدهم ويجعل لهم الهيبة في قلوب الأعداء لاجتماعهم علىٰ الحق وتعاونهم وتكاتفهم وتناصرهم علىٰ دين الله مخلصين لله قاصدين وجهه الكريم لا لغرض آخر، كما قال –عزَّ وجلَّ–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد]، فهو –سبحانه وتعالىٰ– علق نصرهم وحفظهم وحمايتهم بنصرهم دينه واجتماعهم علىٰ دينه وتعاونهم واعتصامهم بحبل الله –عزَّ وجلَّ–. فبالتضامن الإسلامي والتعاون الإسلامي كل خير وكل عزة في الدنيا والآخرة للمسلمين إذا صدقوا في ذلك وتعاونوا عليه[1].

(١) مجلة البحوث الإسلامية (٤٥/ ٢٩).

أثر تعظيم الله في الجانب الأخلاقي

والأسرة عندما يدرك أفرادها ما يجب عليهم فهمه من نصوص شرعهم، ودلالا ت دينهم، ويحرصون علىٰ ذلك عملا، فإن نتيجة ذلك الالتزام بالأخلاق، ومراقبة الأعمال لتزنها من منطلق الفهم الصحيح، حتىٰ توجه الأبناء منذ حداثة أعمارهم التوجيه السليم، وتغرس في نفوسهم حب الفضيلة لفضلها، وعمق أثرها، وكراهية الرذيلة لسوئها، وآثار نتائجها؛ لأن الرذيلة يتمثل فيها شبح الجريمة التي يحسن بالأسرة تجسيمها لدىٰ الناشئة، وإيصاد الطرق المؤدية إليها ؛ ليكبر هذا الإحساس معهم، فيرونها شبحا مخيفا، وعملا رذيلا، تكبر أحاسيسهم حياله مع الأيام، حتىٰ إذا كبروا، وصاروا في موطن المسئولية، وعمق الفهم، أدركوا بالدليل الشرعي سر ما رسخ في قلوبهم، ودور ما أنشئوا عليه من أعمال وأفكار.

وأسوة المسلمين في ذلك منهج الصحابة، وفهم التابعين في حسن توجيههم لأبنائهم، وتلقينهم الفضيلة طبعا وخلقا وتعويدهم الأعمال الحميدة ترويضا ومتابعة، حيث تابعوا التطبيق مع أقرب الناس إليهم، ونشئوا محبين لكل عمل مستحسن، آلفين كل منهج سليم، سائرين علىٰ الفطرة السليمة، التي هي تعاليم الإسلام الصحيحة؛ لأن كل مولود يولد علىٰ الفطرة، والإسلام وتشريعاته هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فالأسرة المسلمة في كل عصر ومصر عندما يهتم أربابها بأبنائهم تربية وحسن خلق، وإنكارا للمنكر، وتحذيرا من الصغائر، التي حذر منها رسول الله ﷺ بقوله: «**إِيَّاكُم وَمُحَقِّرَاتِ الذُّنُوبَ**»(١)، أي: ما تحتقره النفس ويصغر في العين. فإن هذا من أسباب توفر البيئة الصالحة، التي تبغض الجريمة، وتنكر الجنوح إليها؛ لأن صلاح الأحداث، وتعظيمهم شرائع الله، والوقوف عند حدوده، دافعه الزاجر الإيماني، والتربية السليمة التي حرصت الأسرة علىٰ تمكينه في جوانب البيت، ضمن التربية الأولية التي يلقنها الآباء والأمهات لأبنائهم، فالكبير يمتثل ويوجه ويضرب النموذج الصالح بالقدوة والالتزام، أما الصغار فيبين لهم أن ذلك العمل ما هو إلا استجابة لشرع الله الذي جاء به الإسلام تربية وتوجيها وتعليما وتطبيقا. فالصغير عندما يتعود ذلك عملا، وتنطبع به أخلاقه سلوكا، فإن الأمر سيعظم في قلبه، والمصدر الذي جاء منه وهو كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، الذي استجاب من أجلها، سيكون له مكانة راسخة في أعماقه؛ لأن هذا من تعظيم حرمات الله، كما قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج:

(١) شعب الإيمان (٧٢٦٧).

٣٠]، وقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج]: إنَّ الأسرة التي تحرص علىٰ غرس الروح الإيمانية في قلوب أبنائها، منذ تفتح براعمهم، فإنما تحصنهم لمجابهة الحياة، والاستعداد لإدراك المخاطر ؛ لأن الإيمان بالله وبكتبه وبملائكته وبرسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، ترسيخ هذا الإيمان يعطي الأبناء سلاحا قويا يدفعهم للعمل، وينمي عندهم بغض الشر، وإدراك خطره، ويحبب إليهم الخير، ويرغبهم في البحث عن مداخله، والاستئناس بأهله ؛ لأن من شب علىٰ شيء شاب عليه، وبذلك يسلم الأحداث- بتوفيق من الله- من الجنوح في صغرهم، ومن ثم الابتعاد عن الجريمة في كبرهم ؛ لأنها لم تجد في قلوبهم بابا مفتوحا، ولا ارتياحا يدفعها للاستقرار.

ومعلوم أن من يركب مخاطر اليم، إذا لم يكن قادرا علىٰ السباحة، فإنه يعرض حياته للموت، ونفسه للخطر، بل أبسط ما يقال عنه : إنه قد ألقىٰ بنفسه إلىٰ التهلكة ؛ لأنه لم يستعد من قبل بما يعينه علىٰ مصارعة الأخطار، والقدرة علىٰ توقي أضرارها.

وأوجب الإسلام علىٰ المسلم رعاية شئون أهله وأسرته، ولم يبح له أن يفرط في حقوقهم الدنيوية والأخروية، ومن حقوقهم الدنيوية أن يؤمن لهم قدرا كافيا من التعليم ومن القوت حتىٰ تتسنىٰ لهم الحياة الكريمة التي يترفعون بها عن الحاجة للناس، وهذا يتطلب منه العمل والجد ليوفر لهم ما يعيشون به كرماء أعزاء، دون إهمال لحقوقهم الأخروية[١]، قال رسول الله ﷺ: «كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحْبِسَ عَمَّنْ عَلِيهِ قُوتُهُ»[٢]، وقال لسعد بن أبي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ»[٣].

أثر تعظيم الله في الجانب السياسي

إنَّ نيجيريا دولة لم تنعم بالاستقرار السياسي بُرهة من الزَّمن، ممّا جعل اسمها يقترن في أذهان النَّاس بالقلق والاضطراب السِّياسي والفساد الإداري والسِّياسي، ممَّا تسبَّب -مع وفرة مواردها- في انحطاطها اقتصاديا وتنمويًا[٤].

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية (٢٩/ ١٥٢).

(٢) صحيح مسلم (٢٣٥٩).

(٣) صحيح البخاري (٢٥٩١).

(٤) ينظر: العلماء والتوجهات السياسية في نيجيريا، الشيخ إبراهيم صالح (٢٦).

وفي ظل هذه الديموقراطية الحديثة يمكن للمرء أن يتساءل: أين يقع الحيز الذي يشغله علماء الإسلام؟ وما هو دورهم في هذا البلد سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا؟ وما مدىٰ تقدير وتوقير الشعب والحكومة لهم؟ لأن من تقديرهم وإجلالهم وإبراز دورهم، يمكن للمجتمع أن يسير علىٰ النهج الحميد وأن يصل إلىٰ بر الأمان، وقبل ذلك مكانتهم الممنوحة من الإسلام في المجتمع، حيث أناط بهم إدارة شؤون المجتمع المسلم منفردين أو مجتمعين مع غيرهم. يضاف إلىٰ ذلك شهادة الله للعلماء بأنهم أهل لذلك لانحصار الخشية لله فيهم لما خصهم الله تعالىٰ به من العلم والمعرفة، وجعلهم ذؤابة أهل الاصطفاء من عباده لتوريثه كتابه لهم: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢﴾[فاطر]؛ فالسَّابقون بالخيرات من أفراد المجتمع هم العلماء الذين يتلون كتاب الله، ويُصلُّون ويُزكُّون ويعلمون أنَّ ما أنزل الله علىٰ رسوله هو الحقّ، فيحملهم علمهم وتعظيمهم لله ومعرفة قدره بعزّته وجلاله، علىٰ شدَّة التَّمسك به[1].

وعليه، فإذا كان الشعب النيجيري مخلصا في المطالبة بالإصلاح، فإن الطريق إلىٰ ذلك يتمثل في الرجوع إلىٰ الأسس التربوية والأخلاقية رسميًّا؛ لأنَّ الذي أوقع هذه البلاد في خصم هذه المشاكل هي أمور نعرفها نحن النيجيريون جميعا خصوصًا أولئك الذين يعملون في مجال التربية والتوجيه الاجتماعي والتقويم الديني:

أولها: فصل الدِّين عن الدَّولة، والدُّنيا عن الآخرة، وهو نوع من المرض النفسي، المؤدي إلىٰ الفصل بين المبدأ والتطبيق في الواقع، أو انفكاك النظرية عن السلوك في حياة الفرد.

ثانيها: طغيان النواحي المادية علىٰ الجانب الروحي في التعليم في جميع المراحل، فحصل انفصام تام بين ما تقدمه المعاهد سواء في ذلك الإسلامية والمسيحية

ثالثها: تضليل العامة عن الحقيقة القاضية؛ بأن الدين دائما عقيدة وشريعة أعمال ظاهرة وأعمال باطنة، وهذه الباطنة هي التي تحكم الأعمال الظاهرة من عبادات ومعاملات وتصبغها بصبغتها.

رابعها: الحساسية المفرطة بين الشعب النيجيري -مسلمين وغير مسلمين- فكلما ذكر أمر مهم في الأخلاق والسلوكيات، وكان له ارتباط بالإسلام قام غير المسلمين بمعارضته، ووضعوا كافة العراقيل من أجل تنفيذه أو إدخاله وهكذا العكس[2].

---

(١) ينظر: العلماء والتوجهات السياسية في نيجيريا، الشيخ إبراهيم صالح (٣١).

(٢) ينظر: العلماء والتوجهات السياسية في نيجيريا (١٢)، وما بعدها.

المحور الثالث: أثر تعظيم الله تعالى في إصلاح المجتمع النيجيري ووحدة صفه

إنَّ إحساس الأمة المسلمة بحاجتها إلىٰ اللقاء والتعاون إحساس منطقي وواقعي، وذلك لأنها قد أضرت بها الخلافات، وأنهكتها النزاعات التي كانت سببا لضعفها وضياع حقوقها في عصر لم يعد يسمع فيه صوت الضعفاء ولا أنين الجرحىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال].

وتبقىٰ قضية البحث عن الوحدة الإسلامية همًّا يؤرق الكثير من أبناء هذه الأمة الغيورين علىٰ لمِّ شتاتها وتوحيد صفها، فالخلافات قد شلت أياديها وأصبحت تهدد مستقبل الدعوة الإسلامية، وتشيع الكراهية والبغضاء بين المسلمين، بل قد يمتد الأمر إلىٰ أن يحمل المسلم السلاح ضد أخيه المسلم.

فارتفاع الأصوات المسلمة هنا وهناك تنادي بضرورة وحدة الأمة واجتماع كلمتها أصوات صادقة ينبغي أن تتجاوب لها الأقطار الإسلامية لتنقذ نفسها وتحمي حقّها.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ثَنَّىٰ الله أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم لأخراهم، بأمرهم بما فيه صلاح حالهم في دنياهم، وذلك بالاجتماع علىٰ هذا الدّين وعدم التَّفرّق ليكتسبوا باتّحادهم قوّة ونماء. وقوله: ﴿جَمِيعًا﴾، حال وهو الّذي رجّح إرادة التَّمثيل، إذ ليس المقصود الأمر باعتصام كُلّ مسلم في حال انفراده اعتصامًا بهذا الدّين، بل المقصود الأمر باعتصام الأمَّة كُلّها، ويحصل في ضِمن ذلك أمرُ كُلّ واحد بالتَّمسك بهذا الدّين، فالكلام أمر لهم بأن يكونوا علىٰ هاته الهيئة، وهذا هو الوجه المناسب لتمام البلاغة لكثرة ما فيه من المعاني.

فالتمسَّك بدين الله وبالقرآن وبسبيل السنة والهدىٰ، وعدم الاختلاف في الدين، كاختلاف اليهود والنصارىٰ، فيما بينكم بالعداوة والبغضاء، واطلبوا النصرة من الله لا من القبائل والعشيرة[1].

يقول السِّعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم أمرهم تعالىٰ بما يعينهم علىٰ التقوىٰ وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوىٰ المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين علىٰ دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من

(١) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي (١/ ٢٩٧).

الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف علىٰ الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعىٰ في شهوة نفسه، ولو أدىٰ إلىٰ الضرر العام»[١].

إن الأمة الإسلامية تملك أسسا مشتركة تستطيع بها أن تجمع شتاتها توحد كلمتها، فهي أمة واحدة، ذات دين واحد، وكتاب واحد، ورسول واحد، وهذه هي الأصول والأسس التي تشترك فيها الأمة الإسلامية، فإذا ما أدركت جيدا والتزمت بمقتضياتها فإن ذلك يجعل منها أمة واحدة.

ولكنه لا بد للأمة المسلمة وهي تلم شعثها وتوحد صفوفها من إدراك صحيح للأسباب التي كانت وراء هذا الواقع السيئ الذي تعيشه والأسس التي ينبغي أن تلتقي عليها، والوسائل التي يمكن أن تتحقق بها تلك الأسس، وذلك لئلا تنتقل من واقع منحرف إلىٰ واقع آخر منحرف.

وإن نيجيريا دولة تتعدد فيها الديانات، وهي تعترف باثنين من الديانات الكبرىٰ في العالم، دين الإسلام والديانة المسيحية علىٰ المذهب الكاثوليكي، ومع أن هناك خلافات جوهرية عرفها تاريخ قيام المذهب البروتستنتي بينه وبين المذهب الكاثوليكي والمذاهب المسيحية التجديدية إىٰ أن هذه الطوائف في نيجيريا تحاول أن تخفي ما بينها من تناقضات في الأصول والفروع[٢].

أما الإسلام فهو دين واحد له نظام يشمل كل جوانب الحياة، وبحسب المدارس المختلفة في فهم الفقه الإسلامي، فإن نيجيريا تتبنىٰ مذهب الإمام مالك بن أنس، ولا فرق بين مذهب مالك ومذاهب الأئمة الثلاثة الباقين (الإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل، والإمام أبي حنيفة) في الأصول، وإنما الاختلاف كله في الفروع التي تختلف وجهات النظر فيها بحسب اختلاف الأحوال وتغير الظروف والملابسات التي تحيط بالأحداث.

ومن هنا ثبت أن الوحدة بين جميع فئات لمسلمين كانت موجودة حتىٰ عام ١٩٧٩م، عندما نبتت لأول مرة بذور الشقاق والنزاع بين المسلمين بسبب قيام بدعة الوعظ غير المنظم الذي تمارسه بعض الطوائف التي تنتمي إلىٰ مذاهب التشدد والتطرف المخالف لأمر الله في الوعظ والإرشاد، الأمر الذي أحدث فرقة بين المسلمين لم يشهد له تاريخ الإسلام في هذه البلاد لها مثيلًا، ومع كل هذا فالأمة الإسلامية واحدة، ويجب أن تتمسك بهذه الوحدة، وأن تتسامىٰ فوق هذه الخلافات التي تضر ولا تنفع وتهدم ولا تبني، وتخرب ولا تعمر[٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١٤١).

(٢) ينظر: العلماء والتوجهات السياسية في نيجيريا (٤٨).

(٣) ينظر: العلماء والتوجهات السياسية في نيجيريا (٥٠)، وما بعدها.

إنّ لقيام وحدة إسلامية قوية في أي مكان يجب أن تتكاتف وتتعاضد هذه العناصر الخمسة وتعمل معا في سبيل إعلاء كلمة الله تعالىٰ، وهذه العناصر هي:

١- الولاة من أمراء وحكّام وأصحاب سلطة

٢- العلماء والكبار الذي شأنهم تعليم الدين أصولًا وفروعًا، المؤهلين لاستنباط الحكم من مصادره.

٣- رجال الأعمال أصحاب الأموال والقدرات المادية من المنفقين في سبيل الله.

٤- الشباب الذين يتميزون بالقوة والنشاط والحيوية، ويمتلئون حماسًا وإخلاصًا للعمل الإسلامي.

إن نيجيريا دولة إسلامية بكل المقاييس إذا نظرنا إلىٰ تاريخها العريق ومواقف قادتها العظيمة في نصرة الإسلام طوال تاريخها القديم قبل الاستعمار وتاريخها الحديث إبّان الاستعمار وبعده. وسجل الإسلام انتصارات عديدة في مواطن كثيرة طوال تاريخه في المنطقة لوجود زعامة إسلامية مطاعة حتىٰ في أيام الاستعمار، إذ وقتها لا يعاني المسلمون تفرقا أو تشتتًا، فكان النصر حليفهم دائمًا. إذ تلتقي القيادة الإسلامية بالقيادة السياسية لتقرير ما يراد فعله ول خالف ما يريد المستعمر، وهما في شخص واحد أو في شخصين متكاملين، لا ينافس أحدهما الآخر، حيث مصلحة الإسلام والوطن فوق كل شيء، ولذلك لم تكن مشكلة انعدام القيادة أو الزعامة الدينية موجودة مطلقًا عند الاستقلال؛ لأن هناك قيادة إسلامية تستشعر عظمة الله تعالىٰ في حركاتها وسكاناتها، فظهر تأثير ذلك في قيادتها وتسيير أمورها الإدارية والاجتماعية.

وهكذا في مثل هذا الجو تكون مهمة قائد الأمة - بغض النظر عن كونه مدنيًا أو عسكريًا ملكًا أو أميرًا إمامًا أو خليفة أو رئيسًا أو زعيمًا سياسيًا أو قائدًا روحيًا - محددة وهي القيام بواجب رسالة الاستخلاف في الأرض بالحق؛ وذلك في حماية الدين وحراسة حرماته والجد كل الجد في تطبيق تعاليمه والصدق في تمثيله مع المحافظة علىٰ روح السلفية الحقة بابعادها وأصالتها، مع أخذ كافة المستجدات بعين الاعتبار في إطار الوعي الكامل لمعنىٰ المعاصرة ومتطلبات العصر بكل تحدياته زمانا ومكانًا، وبهذا يمكن للأمة أن تضع حدًا للظلم والاستبداد الذي تعاني منه جميع فئات المجتمع النيجيري - مسلمين وغير مسلمين - زمنا طويلًا، وهكذا تكون القدوة الحسنة[1].

---

(١) ينظر: العلماء والتوجهات السياسية في نيجيريا (٥٥).

المحور الرابع: موانع تعظيم الله وسبل علاجها

أولا: موانع تعظيم الله تعالى

ولما كان الإيمانِ بالله وتعالىٰ وتعظيمه من القضايا الجوهرية في حياة المسلم عامة والشعب النيجيري علىٰ الوجه الخاص، وما لذلك من الأثرِ الإيجابي في حياة المسلم الغيور لدينه وعقيدته، وأن طاعة المولىٰ أمرً ونهيًا جزء أساسي في المسيرة الحياتية، ولما له من أثرٍ في صلاحِ القلوبِ وصلاحِ الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وأن الغفلةِ والصد عن القضايا المصيرية يعتبر من أخطر الموبقات في حياةِ الناس ومصيرهِم. فإن الأسباب المانعة من تعظيم الله تعالىٰ والوقوف علىٰ أضرارها لأمر جدير بالبحث والدراسة الجادة؛ وتتبع سبل علاجها للإسعاد الإنسان في حياته.

وإنَّ أعظمَ قضيةٍ يجبُ أن ينشغلَ بها كلُّ واحد منا هي: قضيةُ وجودهِ وحياتهِ والغايةِ منها، وقضيةُ مستقبلهِ ومصيرهِ وشقائهِ وسعادتهِ، فلا يجوزُ أن يتقدمَ ذلك شيءٌ مهما كان، فكلُّ أمر دونه هينٌ، وكلُّ خطبٍ سواه حقيرٌ، ويأتي في طليعة هذا الموانع من الشعور بالعظمة الربانية، والتهاون والتجاهل بأضرارها وعواقبها، وهل هناكَ أعظمُ وأقدحُ من أن يخسرَ الإنسانُ عظمة ربه ومكانته وينسىٰ فضله!، فإنه حتما سيخسرَ مع ذلك سعادتَه الأبدية، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزُّمَر: ١٥].

هذا، وقد ظهر للباحث من خلال تجربته والعيش خارج البلد لغرض الدراسة وتلقي الدورات التدريبية، ومقارنة ذلك بواقعه النيجيري، فأن الأسباب المانعة من تعظيم الله تعالىٰ يشاركه فيها شعوب أخرىٰ، ويمكن تلخيصها في التالي:

١- الانفتاح علىٰ الدنيا واتباع الهوىٰ المنتشر في هذا الزمن، وما صحب ذلك من مكر الليل والنهار بأساليب جديدة ودعايات خبيثة تزين الدنيا في أعين الناس وتصدهم عن أمور جوهرية تعود إليهم بالنفع في دنياهم وآخرتهم، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص]، ومع ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ من الإيمان والتقوىٰ، فقد كانَ يحذرهم من الاغترار بالدنيا وضرورة الاستعداد للآخرة، مع أنَّ الدنيا لم تنفتحْ عليهم مثل اليوم، فلا شكَّ ولا ريبَ أننا أحوجُ منهم بكثير إلىٰ

أن نستحضر عظمة الله تعالىٰ في خلواتنا وجولاتنا ويذكّرَ بعضُنا بعضًا، بعظمةِ شأنه وأهمية الاستعداد للقائه.

٢- قسوةِ القلوب، وتحجرتِ الأعينِ، وهُجِرَ كتابُ الله -عزَّ وجلَّ-، وإذا قرأ أحدُنا القرآن قرأهُ بقلب لاهٍ، فأنىٰ لمثل ذلك القلب أن يخشعَ لذكر الله؟ وأنىٰ لعينيهِ أن تدمعَ خوفًا من الله، وقد انعكس ذلك علىٰ الصلاة، فقلّ الخاشعونَ والمطمئنون فيها.

٣- البعدُ عن الله تعالىٰ والذي نتج عنه ظهور المشكلاتِ المعقدةِ والأمراضِ المزمنة، التي نشأتْ عنها الأمراضُ النفسيةُ المتنوعةُ من القلقِ والاكتئاب، اللذين يؤديانِ غالبًا إلىٰ حياةٍ يائسة.

٤- كثرةِ المظالم في بعض المجتمعاتِ واعتداءِ الناس بعضهم علىٰ بعض، من أكلٍ لأموالٍ غيرهِم بدونِ وجهِ حق، وكذلك النيلُ من الأعراض، والحسدِ والتباغض، والفرقةِ والاختلاف، وبخاصة بين بعضَ الدعاةِ وطلبةِ العلم، بل أئمة المساجد والخطباء.

٥- التقصير الإعلامي والدعوي في برامجِ الدعوةِ والتربيةِ والاعتناءُ بهذا الجانب العظيمِ من التربية مما له الأثرُ الكبيرُ في الاستقامةِ علىٰ الجادة، والدعوةِ إلىٰ الله علىٰ بصيرة، ولكنْ نرىٰ من بعضِ المهتمينَ بالدعوة من يستهينُ بأهمية عظمة الباري حتىٰ صارَ بعضُهم يقللُ من أثرِ التذكرةِ به، أو أنه من الأمور الثانوية في الحياة.

٦- قال الإمام ابن القيم: «كثرة الذنوب والمعاصي تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله وتضعف وقاره في قلب العبد، ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ علىٰ معاصيه. فإن عظمة الله تعالىٰ وجلاله في قلب العبد وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب، والمتجرؤن علىٰ معاصيه ما قدروه حق قدره، وكيف يقدره حق قدره أو يعظمه أو يكبره أو يرجو وقاره ويجله من يهون عليه أمره ونهيه؛ هذا من أمحل المحال وأبين الباطل، وكفىٰ بالعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم الله جل جلاله وتعظيم حرماته، ويهون عليه حقه»[(١)].

٧- كثرة الحلف مع ما يدل عليه من الاستخفاف وعدم التعظيم لله، وغير ذلك مما ينافي كمال التوحيد الواجب أو عدمه، فالذي يكثر الحلف لابد أن يقع في الاستخفاف بالله جل وعلا، وعدم الاكتراث بالأيمان التي يقسمها، كما هو الواقع في كثير من الناس الذين يعتادون هذا، وهذا يدل علىٰ عدم تعظيمهم الله جل وعلا وتقديره حق قدره، وبذلك يكون الإنسان آثمًا ويكون علىٰ خطر عظيم[(٢)].

---

(١) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ٣٨١)، وتعظيم الله جلّ جلاله (١٠٩).

(٢) ينظر: شرح كتاب التوحيد، عبد الله بن محمد الغنيمان (١٢٩).

ثانيا: سبل العلاج

إن علاج أي ظاهرة في المجتمع لا يمكن الوصول إلىٰ نتيجة إيجابية مالم يتم معرفة أسبابها ودوافعها، وقد سبق أن بينا الأسباب المانعة من تعظيم الله تعالىٰ، وهذا يعتبر كمفتاح لحل المشكلة والسعي الحثيث لعلاجها واجتذاذ جذورها، ويمكن ذكر جملة من الأمور التي تعتبر أساسية في العلاج والموصلة لغيرها من الدواء، وهي:

١- تدبر القرآن وتحديق النظر في سوره وآياته، فالقرآن كله ينطق بالتعظيم والتمجيد والإجلال لرب العالمين، فليس هناك كتاب حوىٰ من التعظيم والثناء والحمد والتقديس لله تعالىٰ مثل ما حواه القرآن، وهذا يثبت أنه من عند الله تعالىٰ، انظر كيف يحمد الله تعالىٰ نفسه، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة]، وهكذا لا نجد آية من القرآن إلا وهي تدل علىٰ عظمة الله تعالىٰ بلفظها ومعناها[1].

٢- الحثّ علىٰ العملِ الصالح، والمبادرةِ لفعل الخيراتِ وترك المنكرات، بل ما تكاسل المتكاسلون في عمل الصالحات سواءٌ الواجب منها والمسنونُ إلا بسببِ الغفلةِ عن العظمة الإلهية والانشغالِ عنها، يقول تعالىٰ في وصف عباده الصالحين، قال تعالىٰ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧﴾ [النور: ٣٧].

إنَّ في عظمة الله تعالىٰ والاهتمام به، له آثار واضحة وثمار طيبة، لابدَّ أن تظهر في قلب العبد وعلىٰ لسانه وجوارحه، وفي حياته كلِّها، ولكنَّ هذا اليقين وحده لا يكفي حتىٰ ينضمَّ إليه الصبر ومجاهدة الشهوات والعوائق، لأن الواحد يرىٰ في حياته أن ثمراتِ هذا اليقين ضعيفة، فلابد إذن من سببٍ لهذا الأمر.

٣- الإخلاصُ لله -عزَّ وجلَّ- والمتابعةُ للرسول ﷺ وتنقيح أعماله من الشوائب، كيسير الرياء، والعُجب، والمنِّ، وطلب الجاهِ والشرف في الدنيا، ومن كل ما يحبطها من أنواعِ الشركِ الأكبر أو الشركِ الأصغر، فتصير هباءً منثورًا، ولذلك فهو يجاهدُ نفسه بحمايةِ أعماله في الدنيا بالإخلاص فيها لله تعالىٰ لعل الله -عزَّ وجلَّ- أن ينفعه بها، كما أن اليقينَ بالرجوعِ إلىٰ الله -عزَّ وجلَّ- يجعلُ العبد في أعماله كلِّها متبعًا للرسول ﷺ غيرَ مبتدع ولا مبدلٍ؛ لأن الله (-عزَّ وجلَّ-) لا يقبلُ من العملِ إلا ما كان خالصًا صوابًا.

---

(١) ينظر: تعظيم الله جلّ جلاله (٨١).

٤- الحذرُ من الدنيا والزهدُ فيها والصبرُ علىٰ شدائدها وطمأنينةُ القلب وسلامتُه ووضع نصب عينيه أهوال الآخرة، ومن كانت الآخرة علىٰ باله فإنَّ الزهد في الدنيا، وعظمة الله تعالىٰ سيحلانِ في القلب، وحينئذٍ لا يكترثُ بزهرة دنيا، ولا يحزن علىٰ فواتها، ولا يمدنَّ عينيه إلىٰ ما متَّع الله به بعض عباده من نعم ليفتنهم فيها.

٥- القناعة وسلامةُ القلب من الحرص والحسد والغلِّ والشحناء؛ لأن الذي يعيشُ بتفكيره في عظمة الله تعالىٰ لا تهمُّه الدنيا الضيقةُ المحدودة، وهذ لا يعني انقطاعَه عنها وعدم ابتغاءِ الرزق في أكنافِها؛ يقول (تعالىٰ): ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص: ٧٧].

٦- استدعاء الراحةُ النفسيةُ والسعادةُ القلبية، وقوةُ الاحتمال والصبرُ علىٰ الشدائد والابتلاءات، وما إنْ يفقدُ القلبُ هذه المعاني حتىٰ يخيمَ عليه الهمُّ والتعاسة، ومن هنا ينشأُ القلقُ والانزعاجُ والضيقُ والحزن ويفقد الإنسان سمة التوازن والتحكم في خالق تلك الحالات وعدم الشعور بعظمته.

٧- التزودُ بالأعمال الصالحة وأنواع القربات، واجتنابُ المعاصي والمبادرةُ بالتوبة والاستغفار، فهو راجٍ خائف، والسائرُ علىٰ الطريق إذا خافَ أسرع السير مخافة الفوات.

٨- اجتنابُ الظلم والشحناء بين المسلمين، وأنه لا شيء يمنع النفسَ من ظلم غيرها في نفس أو مال أو عرض كاليقينِ بالرجوع إلىٰ الله -عزَّ وجلَّ-، وإعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقه، وإنصافِ المظلوم ممن ظلمه، وعدم التهاونِ في حقوق الخلق، والحذرِ من ظلمهم في دمٍ أو مال أو عرض، خاصةً وأن حقوقَ العباد مبنيةٌ علىٰ المشاحَّة والحرصِ علىٰ استيفاء الحقِّ من الخصم، وبالذاتِ في يوم الهولِ الأعظمِ الذي يتمنَّىٰ العبد فيه أن يكون له مظلمةٌ عند أمه وأبيه وصاحبته وبنيه، فضلًا عن غيرهم من الأباعد.

٩- حصولُ الأمن والاستقرارِ والألفةِ بين الناس بالحكمِ بشريعة الله، وأنَّ مجتمعًا يسودُ بين أهله الإيمانُ بالله -عزَّ وجلَّ-، لا شكَّ أنه مجتمعٌ تسودُه المحبةُ ويعمُّه السلامُ؛ لأنَّ تعظيم اللهِ سبحانه سيجعلُ هذه النفوسَ لا ترضىٰ بغير شرعِ الله -عزَّ وجلَّ- بديلا، ولا تقبلُ الاستسلامَ إلا لحكمِه، وهذا بدورهِ سيُضفي الأمنَ والأمانَ علىٰ مثل هذه المجتمعات، فلا خيانةَ ولا غشَّ ولا ظلم.

أما عندما يقلُّ الوازعُ الدينيُّ والخوفُ من الآخرةِ، ويكونُ التحاكمُ إلىٰ أهواءِ البشر وحكمِهم فهذا هو البلاءُ العظيمُ والفسادُ الكبيرُ: حيثُ تداسُ القيمُ والحرمات، ويأكلُ القويُّ الضعيف، وبالتالي لا يأمنُ الناسُ علىٰ أديانهم ولا أنفسهِم ولا أموالهِم ولا أعراضهِم، وكفىٰ بذلك سببًا في عدمِ الأمنِ والاستقرار، وانتشارِ الخوف، واختلالِ حياةِ الناس.

١٠- تقصير الأمل وحفظ الوقت: إنَّ من أخطر الأبواب التي يدخل منها الشيطان علىٰ العبد: طولَ الأمل، والأمانيَّ الخادعة التي تجعل صاحبها في غفلةٍ شديدة عن خالقه، واغترارٍ بزينة الحياة الدنيا، وتضييعِ ساعات العمر النفيسة في اللهثِ وراءها حتىٰ يأتي الأجلُ الذي يقطع هذه الآمال، وتذهبُ النفس حسراتٍ علىٰ ما فرطت في عمرها، وأضاعتْ من أوقاتها.

١١- كثرة حمده سبحانه وتعالىٰ والثناء عليه وشكره علىٰ نعمه[(١)]. وقد روىٰ البخاريُّ عن أبي أمامة: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: «**الحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيرَ مَكْفِيٍّ، وَلَا مُوَدَّعٍ، وَلَا مُسْتَغْنًىٰ عَنْهُ**».

فالله تعالىٰ لا يستطيع أحدٌ أن يكافئه علىٰ إنعامه أبدًا، لأنَّ شكره -سبحانه- هو نعمة من نعمه، فالمعظِّم لربِّه -عزَّ وجلَّ- يعترف بقلبه أنَّه لو أنفق جميع عمره في قيام اللّيل وصيام النَّهار ولم يزل لسانُه رطبًا بذكر الله، فإنه لا يستطيع تأدية شكر نعمة واحدة من نعم الله عليه. ومع ذلك فإنه يجب علىٰ العبد أن يلهج بحمد الله تعالىٰ وشكره والثناء عليه وأن يقدم ذلك بين يدي دعائه وسؤاله[(٢)].

١٢- التَّفكُّر في آياته وآلائه وبديع صنعه، يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران]، أي: هذه في ارتفاعها واتِّساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها، وما فيها من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات، وثوابت وبحار وجبال وقفار وأشجار ونبات، وزروع وثمار، وحيوان ومعادن، ومنافع مختلفة الألوان والروائح والطعوم والخواص، ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾، أي: تعاقبهما وتقارضهما

---

(١) ينظر: تعظيم الله جلّ جلاله (٥١).

(٢) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

الطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر هذا، ثم يعتدلان ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيرا، ويقصر الذي كان طويلا. وكل ذلك تقدير العزيز العليم، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، أي: العقول التامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها علىٰ جلياتها، وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون[1].

(١) المرجع السابق (٥٤)

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه، ومن سار علىٰ نهجهم واستن بسنتهم إلىٰ يوم الدين،،

وبعد؛ فلقد تمخضت هذه الورقة عن نتائج يمكن إجمالها في الآتي:

١- استحقت نيجيريا عملاقة إفريقيا بعدد سكانها الذي بلغ نحو ١٩٠,٩ مليون نسمة، بنسبة ٧٥٪ من المسلمين، وتتنوع إلىٰ ٢٥٠ مجموعة عرقية مختلفة، وتعتبر الإنجليزية هي اللغة الرسمية، وقد وصلها الإسلام منذ القرن الأول الهجري.

٢- إن مصطلح التعظيم يشمل: التبجيل والتوقير لكل ذي قوة وشأن ونخوة وزهو وسلطان عظيم، وتعظيم الله تعالىٰ هو: أن لا يجعل العبد دون الله سببًا، ولا يرىٰ علىٰ الله حقًّا، أو ينازع لله اختيارًا.

٣- إن واقع الشعب النيجيري يستشعر عظمة الله تعالىٰ في حركاته وسكناته، والمتمثلة في: القرآن الكريم، وتقديس اللغة العربية، وفي العبادات والشعائر الدينية، ومنها ينطلق لإصلاح الذات والفرد والمجتمع، بل يتجاوز ذلك إلىٰ وحدة الصف والاعتصام بحبل الله المتين وتقوية أواصر الأخوة.

٤- الانعكاس الإيجابي عند تعظيم الله تعالىٰ في مجالات الحياة ومعالجة الكثير من مشاكل المجتمع؛ العقديّة، والأسرية، والتربوية، والأخلاقية، والأمنية، والإدارية بأيسر السبل وأقل التكاليف والأعباء علىٰ الدولة.

٥- إن الأمة الإسلامية في حاجة ماسة إلىٰ الوحدة، ولا يتأتىٰ ذلك مالم يتم تعظيم الله تعالىٰ؛ فهي أمة واحدة، ذات دين واحد، وكتاب واحد، ورسول واحد، وهذه هي الأصول والأسس التي تشترك فيها الأمة الإسلامية، فإذا ما أدركت جيدا والتزمت بمقتضياتها فإن ذلك يجعل منها أمة واحدة.

٦- إن نيجيريا دولة تتعدد فيها الديانات، وتعترف باثنين من الديانات الكبرىٰ في العالم -دين الإسلام والديانة المسيحية-، وتتبنىٰ مذهب الإمام مالك بن أنس، ولا فرق بين مذهب مالك ومذاهب الأئمة الثلاثة الباقين (الإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل، والإمام أبي حنيفة) في الأصول.

٧- إن أثر تعظيم الله تعالىٰ في وحدة المجتمع النيجيري ظاهر وبيّن بين جميع فئات المسلمين في نيجيريا، بغض النظر عن كونه مدنيًا أو عسكريًا ملكًا أو أميرًا إمامًا أو خليفة أو رئيسًا أو زعيمًا سياسيًا أو قائدًا روحيًا، وتسعىٰ الكوادر الدينية في أطراف البلاد إلىٰ ترسيخها، وتدعو جاهدة جميع الطوائف إلىٰ نبذ هذه الخلافات التي تضر ولا تنفع وتهدم ولا تبني، وتخرب ولا تعمر.

٨- تتمثل موانع تعظيم الله تعالىٰ في: كثرة الذنوب والمعاصي، والبعدُ عن الله تعالىٰ، وحب الدنيا وكراهية الموت، واتباع الهوىٰ، وأن سبل العلاج تكمن في: الإخلاصُ لله، والمتابعةُ للرسول ﷺ، وتدبّر القرآن الكريم، والعمل بهداياته، والحذرُ من الدنيا، والقناعة وسلامةُ القلب، وكثرة حمد الله تعالىٰ، والتفكر في آياته وآلائه.

والحمد لله أولًا وآخرًا، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، آدم عبد الله الإلوري، دار الجيل، لاغوس ٢٠٠٣م.

٢- بحر العلوم: نصر بن محمد السّمرقندي، ت: عادل أحمد عبد الوجود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢ه – ٢٠٠١م.

٣- تفسير حدائق الروح والريحان: المؤلف: العلامة محمد الأمين بن عبد الله العلوي، ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٤- التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الطبعة التونسية: - تونس - ١٩٩٧م.

٥- تعظيم الله جل جلاله: أحمد بن عثمان المزيد، مدار الوطن للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

٦- تفسير أسماء الله الحسنىٰ: إبراهيم بن محمد الزجاج ت: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية - دمشق، ١٩٧٤.

٧- التعليم العربي الإسلامي في تشاد تاريخه وآفاقه: مصطفىٰ أحمد علي، مكتبة الوطن ط١، ٢٠٠٠م.

٨- التكفير أخطر بدعة تهدد السلام والوحدة بين المسلمين في نيجيريا: الشيخ إبراهيم صالح الحسني، ط٤، ١٩٩٨

٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

١٠- تهذيب اللغة: الأزهري، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط١، ٢٠٠١م.

١١- تاج العروس من جواهر القاموس: : محمّد بن محمّد الزَّبيدي، ت: مجموعة من المحققين دار الهداية.

١٢- الثقافة والشخصية، سامية الساعاتي

١٣- حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا شيخو أحمد سعيد، دار الجودة، ط٢، ٢٠٠٢م.
١٤- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، أبو القاسم اسماعيل ابن محمد الأصبهاني، تحقيق محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر دار الراية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، السعودية / الرياض.
١٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم: شهاب الدين الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٦- سلسلة التفسير: مصطفىٰ بن العدوىٰ، دروس صوتية مفرغة، موقع الشبكة الإسلامية (الشاملة).
١٧- السنن الكبرىٰ: النسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة ٢٠٠١م.
١٨- السنن: الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت: دار الأحياء التراث العربي.
١٩- السنن: محمد بن يزيد القزويني بن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الفكر.
٢٠- شعب الإيمان: البيهقي، ت: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١
٢١- شرح كتاب التوحيد: عبد الله بن محمد الغنيمان.
٢٢- صحيح مسلم: الإمام مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت
٢٣- صحيح البخاري: البخاري، ت: د. مصطفىٰ ديب البغا دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ - ١٩٨٧
٢٤- العلماء والتوجهات السياسية في نيجيريا: الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، (مخطوط)
٢٥- في أصول التربية: محمد الهادي عفيفي
٢٦- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: دار صادر – بيروت الطبعة الأولىٰ.
٢٧- مجلة البحوث الإسلامية: ٢٩/ ١٥٢.

٢٨-معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون: دار الفكر، ط١ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٩-الموسوعة العربية العالمية.
٣٠-منازل السائرين: عبد الله الأنصاري الهروي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٨ - ١٩٨٨.
٣١-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي تحقيق : محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ – ١٩٧٣.
٣٢-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.
٣٣-نظام الأسرة في الإسلام: أحمد محمد العسال
٣٤-نضرة النعيم: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد.

الموضوعات

المقدمة	٢
مدخل عام: نيجيريا موقعًا وواقعًا	٤
المحور الأوّل: تعظيم الله تعالىٰ في المجتمع النيجيري تاريخًا وواقعًا	٩
المحور الثاني: مظاهر تعظيم الله تعالىٰ في مجالات الحياة	١٧
المحور الثالث: أثر تعظيم الله تعالىٰ في إصلاح المجتمع النيجيري، ووحدة صفّه	٢٦
المحور الرّابع: موانع تعظيم الله، وسبل علاجها	٢٩
الخاتمة	٣٥
المصادر والمراجع	٣٧
الموضوعات	٤٠